المشهور) في غالب اوقاته لا يزال دهشاً وبصره شاخصاً لا يسمع من يكلمه ولا يراه فتارة يكون واقفاً وتارة يكون قاعداً وتارة يكون مستلقياً على ظهره مغطًّى كالميت ويمرُّ عليه عشرة ايام متواصلة واقل من ذلك واكثر وهو على هذه الحالة لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك فهو كما قيل

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون ما لبثوا

ثم يستفيق وينبعث من هذه الغيبة ويكون اول كلامه انه يلي من القصيدة نظم السلوك ما فتح الله عليه . وقال جماعة من صحبه وباطنوه انه لم ينظمها على حد نظم الشعراء اشعارهم بل كانت تحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه نحو الاسبوع والعشرة الايام فاذا افاق املى ما فتح الله عليه منها من ثلاثين واربعين وخمسين بيتاً ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال . انتهى

وخلاصة ما يقال في تعليل هذه الحوادث وامثالها ان في مخادع النفس قوة مدركة غير الافعال المنعكسة تشتغل اشتغالاً عقلياً على غير انتباه منا اليها وان كل معلوماتنا التصورية والتصديقية تحفظ في الدماغ فان لم تتصل اليها بالذاكرة فقد تتصل اليها بهذه القوة

اغنياء الدُّنيا وكيف اغتنوا

حبُّ المال مازج لنفوس الرجال فانهُ عون الانسان على قضاء حاجاته

ما أرسل الانسان في حاجةٍ أقضى من الدرهم في كُمِّهِ

ومعزٌّ لمقامه بين اقرانه

ولا يساوي درهماً واحداً من ليس في منزله درهمُ

وواسطةٌ لتفريج الهموم وتخفيف المصائب وتوفير الحسنات وتكثير المنافع الى غير ذلك مما لا يخفى على اللبيب . وقد صدق القائل " من زعم انهُ لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه واذا ثبت صدقه فهو عندي احمق" . واصاب ابن زياد حيث اجاب وقد سُئل لِمَ تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال في وان ادنتني منها فقد اغتنيت عنها . فالعاقل لا يكره المال ولكنهُ يحلهُ محله فيعطيه من المحبة ما يستحقهُ ولا يبذل دونهُ عزَّة نفسه وكرامة اخلاقه ولا يستخيرهُ على ما يرقي مداركه ويهذِّب اطباعهُ

والغنى مراتب وقد كان اصطلاح الناس قديماً ان يعدُّوا كلَّ من كان ماله فوق الكفاف

غنيًّا ومَن كان مالهُ كفافًا لا غنيًّا ولا فقيرًا ومن كان مالهُ دون الكفاف فقيرًا ولا يزال هذا اصطلاح اكثر الامم الى اليوم . ولكن الذين سبقوا في استثمار الاموال وتوفرت عندهم الخبرات بما استعانوا بهِ من الاختراعات والاكتشافات كاهل اوربا واميركا مثلاً انهالت عليهم مياز يب الثروة انهيالاً وافضى توزُّع الاموال بينهم الى تجمُّعها عند قوم دون آخرين فعظم التفاوت في مراتب الغنى عندهم وصاروا لا يعدُّون الرجل غنيًّا الاَّ اذا زاد مالهُ على كفافهِ كثيرًا ولا يعترفون لهُ بالتبريز في الغنى الاَّ اذا بلغ مالهُ الف الف ليرة انكليزية (جنيه) فصاعدًا وهو ما يُعرف بالملونار عندهم لان مالهُ يبلغ المليون . وفي هؤلاء الاغنياء كلامنا الآن

كل الامم تسابق في حلبة الغنى ولكن الانكليز اسبقهم وقد مرَّ عليهم مئات من السنين وهم مستأثرون باعظم الثروة والمال ولا يزالون لهذا العهد اكثر الامم اغنياء واغنياؤهم اكثر الناس مالاً الاَّ انسباءهم من اهل الولايات المتحدة باميركا فان اغنى اهل الارض الآن من الاميركيين وليس من الانكليز . وقد توفي منذ سنة ١٨٦٤ الى غاية ١٨٦٦ سنة وثلثون رجلاً من الذين بلغت تركة الواحد منهم مليون ليرة انكليزية فما فوق وسجلت كذلك في سجلات المواريث وكلهم من اهل انكلترا والولايات المتحدة . وتوفي في انكلترا منذ خمس عشرة سنة ثمانية عشر شخصًا من هؤلاء الاغنياء وبلغت تركة اغناهم وهو البارون روتشيلد مليونين وسبعمئة الف جنيه وتركة اقلهم غنًى — وان شئت قل افقرهم — وهو السر داود بكستر مليونًا وثمانية وتسعين الف جنيه . وتوفي ثمانية عشر غيرهم قاربت تركة كلٍّ منهم المليون ويُظن انها لم تكن اقل من المليون ولكن بعضها أُخفي عن الحكومة تخفيفًا لما تأخذهُ على المواريث . فيكون عدد الذين ماتوا من الانكليز وخلفوا مليون جنيه اثنين واربعين من خمس عشرة سنة الى الآن

وقد يتوهم القارئ ان معظم هؤلاء الاغنياء من اشراف الامة الذين اتصلت اليهم الثروة بالارث . ولكن ذلك مخالفٌ للواقع فان ثلثة منهم ورثوا الثروة وراثةً وهم البارون روتشيلد المذكور توفي سنة ١٨٧١ ودوق بورتلاند ترك ثروةً قيمتها نيف على مليون وخمسماية الف جنيه وتوفي سنة ١٨٨٠ واميرديسارت ترك ما يزيد على مليون وسبعماية الف جنيه وتوفي سنة ١٨٧٨ . واما الباقون فكلهم حصلوا المال بالسعي والكسب كوليمس الكرنوالي جمع في حياتهِ مليونًا وستماية الف جنيه وتوفي سنة ١٨٨٠ وهيود الليفربولي كسب مليونًا وتسعماية الف جنيه وتوفي سنة ١٨٧٧ وتوماس بارنج اللندني حصَّل ما يزيد على مليون وخمسماية الف جنيه وتوفي سنة ١٨٨٣ وغيرهم . وثروة اشراف الانكليز غير نامية في زماننا هذا فالذين وقفوها للسلالة وحرموا الورثة من غير الربا فثروتهم باقية على ما كانت عليهِ او متصاغرة . والآخرون يخشى

على ثروتهم من النقاد كما جرى لبعض النساء الشريفات مثل لادي غرانفل غوردون فانها لما تطايرت ملايينها عمدت الى التجارة فتحت محلاً للازياء (المودة) وجعلت تعيش بما تكسبه منه . واخرى من شريفات اسكوتلاندا رأت ان الضامنين اراضيها الموروثة قد عجزوا عن تأدية الضمانات لما اعترى الارض من المحل والجدب ففتحت مخزناً للازياء ايضاً وصارت تعيش من يخناب اليها من نساء الاشراف وهبات اللبس وقد استنبطت زياً جديداً يقال انه سيكسبها ثروة تساوي ما ورثته عن ابيها

على ان قصدنا بيان حال الذين فاقوا اغنياء الانكليز في غمامهم وهم ذوو الثروة واليسار من اهالي الولايات المتحدة باميركا ولذلك لا نطيل بذكر اغنياء الانكليز وانما نعهب بذكر الاميركيين افادةً للمطالعين : فاقدم هؤلاء الاغنياء عهداً رجل يسمّى وليم فوس ولد سنة ١٦٥١ في قرية من ولاية مين من الولايات المتحدة وهي يومئذٍ تخص الانكليز وكان ابوهُ عاملاً فقير الحال كثير العيال ولد واحداً وعشرين ابناً وخمس بنات وكان وليم التاسع عشر بين اخوته . فترك بيت ابيهِ صغيراً وجعل يرعى المواشي لبعض اصحاب الاراضي في ايام شارلس الثاني ملك الانكليز . فلم يقم طويلاً حتى سئم رعاية المواشي ولعبت بهِ بلابل الاسفار وركوب الاخطار وخوض عباب البحار طوعاً لهوًى في نفسهِ ولكن ضاق عَنْ ذلك ذرعاً لجهلهِ فن الملاحة وادارة السفن فلم يرَ خيراً من ان يكون اجيراً لتجار صانع سفن استعداداً للملاحة

وكان حسن القد جميل الوجه فرأته ارملة غنية ذاهبة واحبها ثم اقترن بها املاً ان يكون عالةً عونًا لها على البذل لاخوته واخواته فانكرت امرأته عليهِ ذلك قائلةً يكفيك اني وجدتك فاعلاً واجيراً فصيّرتك رب بيتٍ واملاك فرضخ لحكمها كرهًا وجعل يترقب الفرصة حتى كان ذات يوم على الرصيف قرب البحر فسمع اثنين من الملاّحين يتكلمان في امر سفينة اسبانية اغرقها القرصان قرب جزائر بهاما وكان بها غنى وافر ومال كثير فتناول طرف الحديث معهما وما زال يكاشفهما بما يعرفان عنها حتى وقف على كل ما عندهما ثم عاد الى بيتهِ غائصاً في لج الافكار والهواجس غوص تلك السفينة في لج البحار . وصمم على البحث عنها والغوص عليها لعلهُ يدرك الغنى على عجل و يحقق المنى على اقرب سبيل . فكاشف امرأته بما يجول في ضميرهِ واقنعها بحسن رأيهِ بعد جهد طويل ثم باع بيتهُ واراضيهُ واشترى سفينةً وجهزها بالعدد والرجال واعدّ ايام بجانب مما يجدون

فساروا على السعي تارةً والتوكل طوراً حتى اصابوا السفينة الغرقى في جون قريب القمر واستخرجوا ما كان بها واكياساً كثيرة من المال تنمّ من اعتدالت مطامعهُ ولكن لا تنمّ من كان

كصاحبنا المترجم بو . وبينما هو عائد الى مدينة بستن بلغهُ ان سفينةً غرقت منذ خمسين سنة قرب مينا لا بلانا وكان فيها شذور كثيرة من الذهب والفضة ولكن لم يستطع احد من المخبرين تعيين المكان . فلما نزل في مدينة بستن شاع خبرهُ وبالغ الرواة في مقدار ما اصاب من المال حتى صار الناس يعدونهُ اغنى مما كان كثيرًا . فحدثتهُ نفسهُ ان يستفيد من المبالغات المرويَّة عنهُ ويذهب في طلب السفينة التي تحتوي غرقها ولما رأى ان المال يعوزهُ سافر الى مدينة لندن وقصد الملك فكاشفهُ بما في نفسهِ وطلب منهُ ان يمدهُ بسفينةٍ ورجالٍ واعدًا اياهُ بمالٍ كثير . وكان الملك في احتياج دائم الى المال لافراطهِ في البذخ والترف فاجاب طلبهُ طمعًا في توفير ثروتهِ وسلمهُ سفينة حربية بعشرين مدفعًا ومئة رجل بين ملاّح ومقاتل . فأقلع فمس من لندن قاصدًا بحار الجنوب محاذيًا للسواحل يتسمع الاخبار ويتطلب الآثار متنقلاً من مكان الى مكان على غير هدى ولا جدوى حتى ضجرت نفوس الرجال واعتراهم الملال وقال بعضهم لبعض انَّا اعتدنا كسب المال بمنازلة الرجال ومصاولة الابطال لا بسبر الاعماق وجرف الاوحال وهذا الغرُّ قد اضاع رشدهُ في تطلب المحال والجري وراء الاظلال فتعالوا نلقي بهِ في هذا البحر الخضمّ ونخر بهذه السفينة في عباب اليمّ اصطاد السفن وتقنص الزوارق شأن الشجعان من الفرسان . ولم يكن بينهم مخلص لنفس غير نجار السفينة فلما علم بكيدتهم اخبرهُ بها فقبض فمس على كبار المتمردين منهم وانزلهم على السواحل وسار بالباقين يبحث في الجهات . ولكن لما ثقل معهُ الرجال لم يستطيعوا القيام بكل الاعمال وتعذَّر عليهم تطويل السفر والتفتيش فاضطرَّ ان يعود بهم الى لندن بخفي حنين . ولكن خيبة مسعاهُ لم تقلل ثقتهُ بالفوز ولم تثنهِ عن عزمهِ فرفع الى الاميرالية تقريرًا يعود بهِ طلبهُ ويؤكد لها النجاح

فتاطفت لهُ الحكومة بالكلام واكثرت لهُ من المواعيد ولكنهُ لم يلقَ منها الاَّ محاولة ومطالاً فعمد الى الوسائط وما زال يقصد انسانًا بعد انسان ويتملق باهداب مستعيًا بعد اخفاق آخر حتى فاز بعقد شركة تحت حماية دوق البمارل فجهزت لهُ سفينة وعاد يخوض بها بحار الجنوب مبتدئًا حيث انتهى بهِ السفر في السفينة الاولى قبل باربع سنين وآلى على نفسهِ ان لم يظفر بالمطلوب جعل تلك المياه لهُ قبرًا لا يعود منهُ . وسار يطوي الايام والاسابيع باحثًا وكلما مرَّ يوم ولم يظفر بشيء تقوى عزيمتهُ على الانتحار حتى كاد صبرهُ ينفد ولم يبقَ لهُ في الحياة رجاء . وبينما هو يتطلع يومًا عن جانب السفينة الى البحر والانتحار نصب عينيهِ رأى شبحًا يطفو على وجه الماء كأنهُ عالق بخاريب صخر فامر بعض الغواصين من الهنود ان يرى ما هو فعاد قائلاً هو شريط مكتسٍ بالطحالب والاعشاب البحرية ورأيت من خلالهِ ما يشبه ان يكون مدفعًا

مستقرًّا على قعر من الرمال . فتناقل رجال السفينة قولهُ وكان فبس قد اخترع ناقوس الغواصين الذي ينزل فيهِ الى اعماق البحار على غير علم منهُ باختراع غيرهِ لهُ فهيأوهُ وغاص فيهِ هندي من امهرهم ثم عاد بعد قليل وفي يدهِ قضيب غليظ من الفضة فصاح فبس الحمد لله فقد بلغنا المنى ونلنا الغنى . واسرع الرجال من ضباط وملاحين وهنود فغاصوا واستخرجوا ما قيمتهُ ٣٠٠ الف ليرة انكليزية من سبائك الذهب والفضة في ايام يسيرة . وكان ذلك المبلغ كبير القيمة جدًّا في تلك الايام

وعاد فبس مسرورًا ظافرًا فتلقاهُ الناس بالبشر والترحيب ولكن حاشية الملك طمعت بهِ لان الملك كان في احتياج شديد الى المال لينفق على معشوقاتهِ ويستعد للحرب كان بخشى حدوثها . فجعلوا يتسابقون الى تحبيبهم لظام فبس المسكين واستحلال انعابهِ وقالوا ان هذا المال يحق للملك وحدهُ لان فبس لم يعين مكان السفينة الغرقى فاكتشفتها سفينة الملك ولذلك صارت مالاً حلالاً للملك . فقاومهم فبس ولم يتنازل عن حقوقهِ حتى انصفهُ الملك دون اهل بلاطهِ واعطاهُ نصيبهُ من المال وجعلهُ شريفًا من اشراف الانكليز ثم عينهُ واليًا على ولاية مسشوسنس . فاستغنى فبس حتى فاق الاقران غنًى واشترى اراضي في بلاد الانكليز تعالت اسعارها جدًّا بعد ذلك فتركها اورثتهُ الملايين اليوم بركيزات نورهنبي وهي تعدُّ من اعظم المواريث في بلاد بنيف ربع ميراث الواحد من اغنيائها وهو دوق وستمنستر على . ٥ الف فرنك في اليوم فتأمل

فهذه سيرة اقدم الذين اغتنوا في اميركا وتجد فيها بيانًا أوفى في فصل عنوانهُ العمل واهل السيادة من كتاب سرّ النجاح . واغنى بعدهُ رجلٌ يُسمَّى ستيفن جرارد وقد ذكرتهُ جريدة اللطائف وجه ١٤١ من سنتها الثانية ونزيد ذكرهُ اسهابًا هنا فنقول

وُلد جرارد هذا في بوردو احدى اساكل فرنسا سنة ١٧٥٠ وابوهُ ربّان سفينة . ولما بلغ العاشرة من عمرهِ سافر الى نواحي الولايات المتحدة الاميركية اجيرًا في سفينة وهو لا يكاد يعرف القراءة ولا الكتابة . وكان موصوفًا بالذكاء والمثابرة وقوّة الارادة فتقلّب في وظائف الملاحة حتى صار ربّانًا ثم اقتنى سفينة وجعل يتاجر بها حتى جمع مبلغًا من المال في عشر سنين من الزمان فتخلّى عن الملاحة وتزوّج واستوطن مدينة فيلادلفيا تاجرًا . ولما اشتهرت الحرب بين انكلترا والولايات المتحدة واحترقت فيلادلفيا احترق مخزنهُ فخسر كل مالهِ فعاد الى الملاحة عاقدًا النية على تجديد ثروتهِ . وكان صارمًا على نفسهِ وعلى غيرهِ وكانت زوجتهُ شديدة المناد كثيرة اللجاج فغادرها مهجورة ومانت بعد حين مجنونة في مارستان . ولما انحلّ قيدهُ وانطلق جناحهُ هام على وجههِ لا يبالي بامر غير جمع المال . ويظهر من وصف اخلاقهِ ان فيهِ التقت المتفرقات

واجتمعت الاضداد فانهُ كان جافيًا خشن الجانب قليلاً قليل الظنون والاوهام يعامل بالشرف وكرم الاخلاق ويأتي الدنايا لنوال غايتهِ . يجود بكرم عظيم ويفتقر بجهل ذميم . عاف الراحة واللذَّة ولم يثنِ عن نوال بغيتهِ عنانًا

وابتدأ غناهُ من يوم حدوث الفتنة في مدينة سان دومنگو وثوران السود بالبيض اصحاب الاراضي . وكان جرارد اتاها يومئذٍ بسفينتين فتقاتل البيض والسود مدة ثم غلب السود وفتكوا بالبيض فتكًا ذريعًا وذبحوهم ذبحًا فظيعًا . ولما رأى ذلك اصحاب السفن الراسية في المينا خافوا ان تلمَّ النازلة بهم فاطلقوا الاشرعة لمفنهم وطلبوا عرض البحر الاَّ جرارد فانهُ لم يبرح من مكانهِ وتهدَّد كل من يقارب سفينتهُ من الثائرين بالموت الاحمر من افواه البنادق وتوعَّد من يتمرَّد من ملاَّحيهِ بمثل ذلك ووعد من يطيع بثواب عظيم . فتزاحم الناجون من تجار البيض ومزارعيهم على السفينتين فقبلهم جرارد تحت شروط اشترطها عليهم ووعدهم انهُ لا يبرح من مكانهِ حتى يعودوا بنسائهم وعيالهم فصدَّقوهُ ووعدوا عدة ما كان معهم من المال والاشياء الثمينة ورجعوا تحت جنح الظلام لاحتلاص الرجال فاحسَّ بهم السود وذبحوا كثيرين منهم ونجا مَن نجا بعياله . وظل جرارد ينتظرهم حتى جاؤوا جميعًا ثم أمر فاقلعت السفينتان وجاءتا الى مدينة اورليانس الجديدة من مدن الولايات المتحدة . فانزلهم هناك وأخذ على كلٍّ منهم مالاً واقرَّا واعتلك الودائع التي ذُبح اصحابها ولم يعودوا فأثرى اثراء عظيمًا وفتح بنكًا في مدينة فيلادلفيا واقام بها

وفي سنة ١٧٩٣ فشت الحمَّى الصفراء في فيلادلفيا فلأَت قلوب الناس رعبًا لشدَّة فتكها فتهاربوا من المدينة افواجًا ولم يبقَ احدٌ من الحكام وولاة الامور والاطباء والممرضين ونفدت الادوية ولم يعد يوجد مَن يدفن الموتى واصبحت حال المدينة فوضى وانحاز الباقون من الرعاع في النواحي وعكفوا على السكر تسكينًا لخاوفهم . فلما اشتدَّت الازمة تحرَّكت النخوة في صدر جرارد فتولى ادارة المدينة في المستشفى وجمع واقام حوله رجالاً من اهل المروَّة والحميَّة فردَّ النظام وقضى ليلهُ ونهارهُ بين المصابين يتفقَّد مرضاهم ويجمل موتاهم ويدفنهم بيديهِ ليحذو غيرهُ حذوهُ وينفق على المحتاجين من سعتهِ ويبذل مالاً بغير حساب على الادوية واجرة للاطباء والممرضين الذين اغراهم على المجيء باخلائهِ . واستمرَّ على ذلك شهرين وهو يخاطر بحياتهِ افتداء لحياة غيرهِ وينفق من مالهِ احسانًا لوجه الله حتى زال الداء وارتفع البلاء فاضحى اوَّل رجل منظور في المدينة قريب من قلوب الجميع

وفي سنة ١٨١١ اشترى البنك العمومي واعلنت انكلترا الحرب حينئذٍ فحصل رعب في المالية فافلست بنوك كثيرة واما بنكهُ فبقي آمنًا وزاد ثروةً وجاهًا لانهُ كان لا يدين غير المأمونين .

وفرغت خزينة البلاد وكان جارد من اشدّ الناس حبًّا باميركا وطنهِ الذي شبَّ فيهِ وانرى فعرض مالهُ وخدمتهُ على الحكومة فنجّى الجمهورية من الانحلال وعضدها وحدهُ خمس سنوات يستقرض لها الاموال على مسأوليتهِ ويدبّر نفقاتها ويجهّز لوازمها حتى انعقد الصلح واسترجع ديونهُ فصار اغنى رجل في الولايات المتحدة كلها . وانشأ من مالهِ مدرسةً للايتام سمّاها باسمهِ يُعلَّم فيها خمسماية يتيم وبناها بالمرمر الابيض جاعلاً طولها ٦٨ مترًا وعرضها ٥٠ مترًا وارتفاعها ثلثين وضمَّ اليها حديقة مساحتها ٤٢ فدانًا واوصى لها بعشرة ملايين فرنك و٤٥ فدانًا من الارض ولم يشترط عليها غير إفراد قاعة لحفظ ما كان عندهُ من الامتعة اليسيرة والكتب القليلة ومات والهُ ثلث وثمانون سنة من العمر

قيل ان الفقر خلَّة الادب ولكن ذلك لا يصدق على كثيرين من اهل الادب في هذا الزمان وشاهدنا عليهِ جيمس غوردون بَنِت منشئ الجريدة المسماة نيويورك هرلد فانهُ السابع بين اغنى اهل الارض نعني بهم اغنياء الولايات المتحدة كما سبق وقد لخصنا معظم سيرتهِ وما يليها من مقالة للموسيو دوفاربني الفرنسوي في الدائرات الطائلة عند اهل الولايات المتحدة

ولد بنِت المذكور في اسكتلندا سنة ١٧٩٥ واراد ابواهُ ان يدخلاهُ الكهنوت فارسلاهُ الى مدرسة من مدارس اللاهوت الكاثوليكية فتعلم فيها ولكنهُ لم يهوَ الكهنوت فعدل عنهُ والى مدينة بستن باميركا . وكان قد قرأ سيرة فرنكلين الطبيعي الشهير وكلف بهِ كلفًا شديدًا فلما اتى مقرَّهُ بستن كان كمن نزل ديار صديق لهُ . وجعل يطوف في شوارعها وازقتها حتى نفد مالهُ فدخل مطبخًا في احدى المطابع . ولما جمع يسيرًا من المال انتقل الى مدينة نيويورك حيث تعاطى التعليم والخطابة في علم الاقتصاد السياسي والانشاء والتأليف دون ان يصيب ابواب النجاح . وكانت الجرائد يومئذٍ في بدء نشأتها هنالك تشبه اكثر جرائد الشرق عندنا في هذه الايام بحرّرها ويديرها اصحابها ويطبعها نفر من جامعي الحروف واذا فاقت انتشارًا ونفوذًا عينت مكاتبًا في مدينة وشنطون يبعث اليها باعمال مجلس الامة عند اجتماعهِ ويقبض منها من خمسة وعشرين فرنكًا الى اربعين في الاسبوع ويلتزم بنفقات المراسلة واجرة الانتقال اما الآن فبلغت مبلغًا من الثروة والاقتدار يعز ان يكون لهُ نظير فصارت تدفع للمكاتب الواحد من خمسة وسبعين الفًا الى مئة الف فرنك في السنة

فلما رأى بَنِت ان اعمالهُ تلك لم تفلح ذهب الى وشنطون مكاتبًا لاحدى الجرائد السياسية فاحسن مكاتبتها واكسبها اسمًا طيبًا كل ذلك واسمهُ مكتوم . واقتصد في نفقاتهِ حتى جمع نحو ثلثماية ريال او الفًا وخمسماية فرنك سنة ١٨٢٥ ففكر في عمل يستقل بهِ مثل انشاء جريدة سياسية

وقصد صحيحًا في احدى المطابع اسمهُ هوراس غريلي (وهو الذي انشأ بعد ذلك جريدة نيو يورك تريبون وصيرها من اشهر جرائد اميركا). قال غريلي المذكور "اتاني بنت وانا واقف امام صندوق الحروف ومدَّ يدهُ الى جيبهِ ولم ينه بكلمة ثم اخرجها ملآنة دراهم وبذرها امامي فكان فيها ذهب يسير وفضة كثيرة وسند بخمسين ريالاً وقال هذا المبلغ بين مئتي ريال وثلث مئة فهل لك ان تشاركني في انشاء جريدة سياسية اكون انا منشئها وانت طباعها. فقلت ان هذا المبلغ لا يكفي فتركني ومضى. ثم بلغني بعد ايام قلائل انهُ انشأ جريدة نيو يورك هرلد"

وجعل بنت ادارة جريدتهِ في قبو انائهُ كرسي من الخشب وبرميلان عليهما لوح يقيهِ عن مكتبة يكتب عليها وعارضة يطوي الجريدة عليها. وكان يحرّر الجريدة ويدبرها ويجمع اخبارها ويمسك حسابها ويبيع نسخها ويقضي لوازمها ويحرّر اعلانات الذين يعلنون فيها من الاميين وحدهُ دون مساعدة احد غيرهِ. ولم يبلغ دخلهُ مع ذلك شيئًا يذكر حتى انهُ كثيرًا ما كان يخاف ان يأتي يوم السبت ولا يكون معهُ ما يدفعهُ ثمن الورق واجرة الطباع. قال "وكم من مرة لم يكن يفضل معي في آخر الاسبوع غير فرنك وربع بعد اشتغال ثماني عشرة ساعة كل يوم" ذلك وهو قد ناهز الاربعين من العمر. وكان من طبعهِ قليل الالفة غير خبير باساليب المعاشرة واكتساب صداقة الناس واجتذاب قلوبهم اليهِ ولكنهُ كان ثبتًا على الميل لا يشكو تعبًا ولا مللاً. ولم يكن يعوزهُ لاطمئنان بالهِ غير عضد ينكمل بوفاء دين الاسبوع فوجدهُ بعد قليل لحسن حظهِ وكمال توفيقهِ. وذلك ان صيدلانيًا ركّب حبوبًا لشفاء كل داء وعرف ان لا سبيل لرواج حبوبهِ خير من الاعلان عنها في الجرائد فجاء الى قبو بنت وعرض عليهِ مبلغًا يدفعهُ كل اسبوع اجرةً عن اعلانهِ فكان ذلك طبق المرام فوافقهُ عليهِ بلا محاولة في الكلام وابتدأ من ثمَّ يرقى مراقي النجاح فلم يأتِ عليهِ حول حتى كبّر جريدتهُ فضاعف عدد صفحاتها وتضاعف عدد النسخ المبيعة منها فصار يطبع عشرين الف نسخة في الاسبوع فيدخل عليهِ خمسة آلاف فرنك منها

وفي سنة ١٨٣٨ اتت اول سفينة بخارية من اوربا الى مينا نيو يورك في اميركا ثم تلتها اخرى بعدَ بضع ساعات فركب بنت الباخرة الاولى وسافر الى انكلترا وفرنسا حيث اقام مكاتبين لجريدتهِ ثم عاد الى نيو يورك واشترى زورقًا سريع السير لملاقاة السفن الواردة بالاخبار من اوربا واستلام الاخبار وايصالها اليهِ قبل وصولها الى المدينة وجعل ينفق المال بلا حساب ليفوق مناظريهِ وينشر الاخبار قبلهم ولو ببضع ساعات او ببضع دقائق فصارت جريدتهُ اكثر الجرائد قرّاء في الولايات المتحدة كلها. ومما زادها نفوذًا وانتشارًا انهُ عرف حال البلاد فراعى ميل القراء فيها ليس بمداراتهم والتملق لهم واخفاء الحقيقة عنهم ارضاء للبعض منهم بل بموافقة ذوقهم العقلي

وشوقهم الفطري . فالاميركيون مستقلون في افكارهم يأبون الانقياد لآراء غيرهم مجرّد التسليم لهم ولذلك يهمهم الوقوف على الاخبار والحوادث ليبنوا عليها الاحكام ويستنتجوا منها النتائج بانفسهم اكثر مما يهمهم الاطلاع على آراء غيرهم وما يبنونهُ عليها ويستنتجونهُ منها . فجعل بنت دأبهُ نشر الاخبار وسرد الحوادث تاركًا الحكم فيها للقراء فنجح أتمّ النجاح . ولنجاحهِ كثر خصومهُ وفي سنة ١٨٤٠ انتصب عليهِ نسعٌ من اشهر جرائد نيويورك وناصبتهُ العداوة وسلقتهُ بألسنة الملام فما كان يجيبها الاَّ بالارقام قائلاً اني ابيع في اليوم واحدًا وخمسين الف نسخة من جريدتي وهي كلها لا تبيع غير ٢٦٥٠٠ فأنا اقدر من اصحابها فلمّ اعبأ بهم وزمام المطبوعات بيدي فلا بد لي من اصلاح حال المطابع . واكثر من المباحث التجارية والمالية والسياسية والعلمية والادبية وافرد للاعلانات بابًا مخصوصًا و وسع نطاقها ولم يأتِ يوم ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٦٩ الاَّ وكان العدد من جريدتهِ يتضمن ٩٦ عمودًا . ٥ منها اعلانات وبلغت نفقة ترتيب حروفها ثلاثة آلاف فرنك في اليوم ووزن ورقها احد عشر طنًا

ثم مدَّ السلك البرقي في البحر فربط اوربا باميركا وانتشبت الحرب بين الولايات الاميركية الشمالية والجنوبية ثم بين بروسيا والنسا ثم بينها وبين فرنسا ثم بين روسيا وتركيا فكان مالها كلها الى زيادة جريدتهِ نجاحًا وشهرةً في الاقطار . ففي الحرب الاميركية افرز مليوني فرنك لتنفق على المراسلين والمكاتبين وناقلي الاخبار . ولما خطب امبراطور جرمانيا المتوفى خطبتهُ المعلنة الصلح بعد واقعة سادوفا بين بروسيا والنسا أرسلت اليهِ الخطبة بالتلغراف فانفق عليها ٢٦٥٠٠ فرنك . وتولّى ابنهُ جيمس غوردون بنت الاصغر مساعدتهُ في ادارة الجريدة وشاركهُ عليها سنة ١٨٦٦ واستقلَّ بها بعد موتهِ فلما كانت الجنود الانكليزية تحارب في قلب افريقية سنة ١٨٦٨ سبقت جريدتهُ جريدة التيمس وكل الجرائد الانكليزية وغير الانكليزية الى نشر خبر انتصار الانكليز على اعدائهم وكانت هي اول مُبلغ اخبار النصرة للوزارة الانكليزية نفسها وامر هذه الجريدة مع . ستنلي الرحالة الافريقي اشهر من نارٍ على عَلَم عند العارفين بمجاري الاحوال في هذه الايام . وتحرير الخبر ان ستنلي كان مكاتبًا لها وبينما هو يراسلها بالاخبار من مدريد عاصمة اسبانيا الى بنت الاصغر الى باريس وارسل اليهِ رسالة برقية ليوافيهُ اليها في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٦٩ فوافاهُ واتفق وصولهُ نصف الليل فدخل غرفة منامهِ نوًّا فقال بنت من انت . قال انا ستنلي . فقال اجلس . ثم الى ردائهِ على كتفيهِ وجلس مقابلهُ ودار بينهما الحديث التالي

— اين يكون لفنستون الآن ياستنلي

— لست ادري

— أتظن انه ميت

— يمكن ان يكون ميتًا ويمكن ان يكون حيًّا

— انا اظنهُ حيًّا ومرادي ان ارسلك لتفتش عنهُ

— افتش عن لفنستون ! ذلك يلزم لهُ الدخول الى قلب افريقية

— نعم ولكن قد قيل لي انك انت تجدهُ ايناكان وانك تأتيني باخبارهِ . ثم لا يبعد ان يكون في احتياج فخذ ما تزوّدهُ بهِ . دبّر كما ترى ولكن جئني باخبارهِ

— أتأمرت في ما يلزم لذلك من النفقات

— كم يلزم

— ان برتن وسبيك (سائحين) انفقا ما بين ٧٥ الفًا و ١٢٥ الف فرنك ونحن لا يلزم لنا اقل من ٦٥ الف فرنك

— لا بأس . خذ الآن ٣٥ الف فرنك ومتى نفدت خذ خمسة وعشرين الفًا أخرى ثم أخرى واخرى ولكن جئني بلفنستون

وكان كذلك فان ستنلي بحث عن لفنستون حتى وجدهُ ورجع باخبارهِ . ولما اذاعت جريدة بنت أنباء ذلك في اقطار المسكونة اعلمهُ ستنلي انهُ وعد لفنستون بان يوصل رسائله المفتوحة التي أمنهُ عليها الى بيتو حال صدور الجريدة فاجابهُ بنت ابعثها اليهم بالتلغراف فقال ان ذلك يكلفنا خمسين الف فرنك . قال لا بأس فاننا نخبر وعدك للفنستون فأرسلت اليهم بالتلغراف

ومات بنت الاكبر سنة ١٨٧٣ وترك ثروةً وافرة وجريدة من اشهر جرائد العالم واكثرها ربحًا . وشاع يومًا ان بنت الاصغر عازم على بيعها فسأله ستنلي أصحيح ذلك فقال ان الذين يشيعون هذه الاخبار في ضلال قال نيويورك كلها لا يساوي ثمنها * هذا ما كانت عليهِ جريدة بنت في اصلها وما صارت اليهِ في عهدنا بهمة اصحابها وموافقة الوطن والاحوال . ومتوقع مثل هذا النجاح لجرائد الشرق متعلق باهداب المحال لانهُ لو وجد السعي والهمة لم يوجد الذين يجودون بالمال للقراءة ويبخلون بالاجرة للاعلان وان وجدت القوة لم يوجد لها حيّزٌ ولا مكان

(ستأتي البقية)

ثارت عواصف شديدة على الولايات المتحدة في شهر آذار (مارس) الماضي فصبّ ربّانو السفن زيتًا في البحر فسكنت الامواج وشهد كثيرون منهم انهُ لولا الزيت لانكسرت سفنهم